الحسد

جمع وإعداد

الفقير إلى عفو الله ومغفرته

علي طه العلي الكعبي

غفر الله له ولوالديه ولمن له حق عليه

الحسد

جمع وإعداد

الفقير إلى عفو الله ومغفرته

علي طه العلي الكعبي

غفر الله له ولوالديه ولمن له حق عليه

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اقتفى أثرهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

جمعت في هذا البحث عن داء الحسد وما يترتب عليه من ضر للحاسد قبل أن يضر المحسود، وسبل الوقاية من الحسد والعين.

وأسأل الله أن ينفعني وإياكم بهذا الطرح، وأن يقينا ويحفظنا وإياكم من شر كل حاسد.

حسد أهل الكتاب والمشركين والمنافقين للنبي ﷺ وللمسلمين:

في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسير هذه الآية: (أخبر عن عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين، أنهم ما يودون ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: لا قليلا ولا كثيرا ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدا منهم، وبغضا لكم أن يختصكم بفضله فإنه ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ومن فضله عليكم إنزال الكتاب على رسولكم ليزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فله الحمد والمنة).

وقال الطبري في تفسيره لهذه الآية: (ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان، أن ينـزل عليكم من الخير الذي كان عند الله فنـزله عليكم. فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينـزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه إلى محمد ﷺ من حكمه وآياته، وإنما أحبت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك، حسدا وبغيا منهم على المؤمنين)

*****

في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره لهذه الآية: (ثم أخبر عن حسد كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم الحال أنهم ودوا ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ وسعوا في ذلك، وأعملوا المكايد، وكيدهم راجع عليهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وهذا من حسدهم الصادر من عند أنفسهم. فأمرهم الله بمقابلة من أساء إليهم غاية الإساءة بالعفو عنهم والصفح حتى يأتي الله بأمره. ثم بعد ذلك، أتى الله بأمره إياهم بالجهاد، فشفى الله أنفس المؤمنين منهم، فقتلوا من قتلوا، واسترقوا من استرقوا، وأجلوا من أجلوا ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾)

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب ، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين ، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم . ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال ، حتى يأتي أمر الله من النصر

والفتح.... عن ابن عباس ﭭ: أن رسولا أميّا يخبرهم بما في أيديهم من الكتب والرسل والآيات ، ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم، ولكنهم جحدوا ذلك كفرا وحسدا وبغيا؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يقول : من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئا، ولكن الحسد حملهم على الجحود، فعيرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة، وشرع لنبيه ﷺ وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان والإقرار بما أنزل عليهم وما أنزل من قبلهم، بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم.

وقال الربيع بن أنس: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ من قبل أنفسهم . وقال أبو العالية : ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ من بعد ما تبين لهم أن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، فكفروا به حسدا وبغيا؛ إذ كان من غيرهم. وكذا قال قتادة والربيع والسدي)

*****

في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب، ونصر وتأييد، وكثروا وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة – أي: جدب – أو أديل عليهم الأعداء، لما لله في ذلك من الحكمة، كما جرى يوم أحد، فرح المنافقون بذلك، قال الله تعالى مخاطبا عباده المؤمنين: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار، باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه.

*****

في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (يعني بذلك: حسدهم النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له؛ لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل).

وقال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ يعني اليهود. ﴿النَّاسَ﴾ يعني النبي ﷺ خاصة؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما: حسدوه على النبوة وأصحابه على الإيمان به.

وقال قتادة قلت: ﴿النَّاسَ﴾ العرب، حسدتهم اليهود على النبوة.

الضحاك: حسدت اليهود قريشا؛ لأن النبوة فيهم. والحسد مذموم وصاحبه مغموم وهو (يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)؛ رواه أنس عن النبي ﷺ.

وقال الحسن: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد؛ نفس دائم ، وحزن لازم ، وعبرة لا تنفد.

وقال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله. قيل له : ومن يعادي نعم الله ؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، يقول الله تعالى في بعض الكتب: الحسود عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي.

وقوله تعالى : (فَقَدْ آتَيْنَا) ثم أخبر تعالى أنه آتى آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتاهم ملكا عظيما. قال همام بن الحارث: أيدوا بالملائكة.

وقيل: يعني ملك سليمان؛ عن ابن عباس.

وعنه أيضا: المعنى أم يحسدون محمدا على ما أحل الله له من النساء فيكون الملك العظيم على هذا أنه أحل لداود تسعا وتسعين امرأة ولسليمان أكثر من ذلك.

واختار الطبري أن يكون المراد ما أوتيه سليمان من الملك وتحليل النساء.

والمراد تكذيب اليهود والرد عليهم في قولهم: لو كان نبيا ما رغب في كثرة النساء ولشغلته النبوة عن ذلك؛ فأخبر الله تعالى بما كان لداود وسليمان يوبخهم، فأقرت اليهود أنه اجتمع عند سليمان ألف امرأة، فقال لهم النبي ﷺ: ألف امرأة؟ قالوا: نعم ثلاثمائة مهرية، وسبعمائة سرية، وعند داود مائة امرأة.

فقال لهم النبي ﷺ: ألف عند رجل ومائة عند رجل أكثر أو تسع نسوة؟ فسكتوا. وكان له يومئذ تسع نسوة.

*****

الاستعاذة بالله من الحاسد إذا حسد:

في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]

قال السعدي في تفسيره لهذه الآية: (والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا)

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ اختلف أهل التأويل في الحاسد الذي أمر النبيّ ﷺ أن يستعيذ من شرّ حسده به، فقال بعضهم: ذلك كلّ حاسد أمر النبيّ ﷺ أن يستعيذ من شرّ عينه ونفسه.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قال: من شرّ عينه ونفسه، وعن عطاء الخراساني مثل ذلك. قال معمر: وسمعت ابن طاوس يحدّث عن أبيه، قال: العَينُ حَقٌّ، وَلَو كانَ شَيءٌ سابق القَدرِ، سَبَقَتْهُ العَينُ، وإذا اسْتُغْسِل أحدكم فَلْيَغْتَسِل.

وقال آخرون: بل أمر النبيّ ﷺ بهذه الآية أن يستعيذ من شرّ اليهود الذين حسدوه.

ذكر من قال ذلك: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قال: يهود، لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم.

وأولى القولين بالصواب في ذلك، قول من قال: أمر النبيّ ﷺ أن يستعيذ من شرّ كلّ حاسد إذا حسد، فعابه أو سحره، أو بغاه سوءًا.
وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله عزّ وجلّ لم يخصص من قوله ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ حاسدا دون حاسد، بل عمّ أمره إياه بالاستعاذة من شرّ كلّ حاسد، فذلك على عمومه.

وقال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (معنى الحسد، وأنه تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها. والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل. فالحسد شر مذموم. والمنافسة مباحة وهي الغبطة. وفي الصحيحين: (لا حسد إلا في اثنتين) يريد (لا غبطة).

قال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، فيتبع مساوئه، ويطلب عثراته.

والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فحسد إبليس آدم، وحسد قابيل هابيل.

والحاسد ممقوت مبغوض مطرود ملعون.

وهذه سورة دالة على أن الله سبحانه خالق كل شر، وأمر نبيه ع أن يتعوذ من جميع الشرور. فقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾. وجعل خاتمة ذلك الحسد، تنبيها على عظمه، وكثرة ضرره.

والحاسد عدو نعمة الله.

قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه:

أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

وثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة؟

وثالثها: أنه ضاد فعل الله، أي إن فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله.

ورابعها: أنه خذل أولياء الله، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم.

وخامسها: أنه أعان عدوه إبليس.

وقيل: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعا وغما، ولا ينال في الآخرة إلا حزنا واحتراقا، ولا ينال من الله إلا بعدا ومقتا).

*****

الفرق بين الحسد والغبطة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحاسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فهو يقول: لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في حقه، فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي عملت فيه مثل ما يعمل) [أخرجه البخاري في صحيحه: ٧٥٢٨]

وفي رواية: عن سالم، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار) [أخرجه البخاري في صحيحه: ٧٥٢٩]

وفي رواية: (لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة -يعني الفقه في الدين- فهو يقضي بها ويعلمها) [أخرجه البخاري في صحيحه: ٧٣-١٤٠٩-٧١٤١-٧٣١٦]

قال عبد العزيز بن باز في شرحه للحديث: (هذا كله واضح في فضل قراءة القرآن وإنفاق المال، وأن مثل هذين الشخصين يغبطان ويحسدان حسد الغبطة، والحسد حسدان: ١ - حسد مذموم: وهو تمني زوال النعمة عن أخيك، سواء صارت لك أو لم تصر لك، تمني زوال النعمة عنه هذا حسد وظلم ومنكر، وإذا

فعلت مع ذلك أسباب الإزالة بإتلاف المال أو بفعل ما ينكده عليه ويزيله منه كان هذا ظلما مع حسد.

٢ – أما حسد الغبطة: فهو تمني ومحبة أن يكون لك مثل ما له من الخير، من دون أن تتمنى زواله عنه، فأنت تحب أن تكون مثله، تقرأ القرآن تنفق المال تحب أن تكون مثله، فهذه الغبطة في هذا الخير العظيم الذي تحب أن تكون كمثل أخيك فيه.

فإذا قرأ القرآن وتلاه آناء الليل وآناء النهار تلاوة لفظ وعمل، يعمل به ويقرؤه، فهو محسود على هذا مغبوط، فالذي يقول: ليتني مثله، أو أحب أن أكون مثله، أو أود أن أكون مثله ويغبطه بذلك؛ هذا هو حسد الغبطة.

في اللفظ الآخر: (لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة –يعني الفقه في الدين– فهو يقضي بها ويعلمها)، وهذا كله مما ينبغي فيه الغبطة، إنفاق المال في وجوه الخير، والتفقه في الدين، وتدبر القرآن.

والقرآن رأس الحكمة، من تدبره وفهمه وأعطاه الله فيه الفقه فهو

رأس الحكمة، فهو يقضي به بين الناس ويعلمه الناس، ومعلوم أن السنة تابعة للقرآن، وهي تفسره وتدل عليه لمن رزقه الله فيه الفقه، وهو لا يتم له ذلك إلا بالسنة.

وسُئِل: هل التغني بالقرآن داخل الصلاة أو خارجها؟

قال: القراءة تكون في الصلاة وخارج الصلاة، فهو مغبوط في هذا، وهذا سواء في الصلاة أو في خارج الصلاة، والمهم أن تكون القراءة معها تصديق ومعها عمل، أما قراءة بلا عمل ولا تصديق تضره، وتكون حجة عليه، «**والقرآن حجة لك أو عليك**» [أخرجه مسلم في صحيحه: ٢٢٣]، **نسأل الله السلامة** [شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري – ابن باز: ٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧]

*****

الحسد ينافي سلامة الصدر:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟

قال: (كل مخموم القلب صدوق اللسان). قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد) [صححه الألباني في: صحيح سنن ابن ماجه (٣٤١٦) وفي صحيح الجامع (٣٢٩١) وفي صحيح الترغيب (٢٨٨٩) وفي هداية الرواة (٥١٤٩)]

شرح الحديث: سلامة القلب وصدق اللسان من أجل الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم، وهي من الصفات التي يتفاضل فيها الناس، وهي من أعظم أسباب دخول الجنة.

وفي هذا الحديث يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟"، فقال النبي ﷺ: "كل مخموم القلب"، أي: سليم القلب نظيفه، وهو من تخميم البيت، أي: كنسه وتنظيفه، والمعنى: أن يكون قلبه نظيفا خاليا من سيئ الأخلاق، "صدوق اللسان"، أي: لسانه مبالغ في الصدق، فيحصل بذلك المطابقة بين تحسين اللسان وطهارة القلب، فيخرج عن كونه مرائيا.

فقال الصحابة رضي الله عنهم: "صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟"، فقال النبي ﷺ: "هو التقي"، أي: الخائف من الله في سره وعلنه، والمراقب له في

كل أعماله، "النقي"، أي: نقي القلب، وطاهر الباطن، "لا إثم فيه"،

وفي رواية: "لا إثم عليه"، أي: لا يوجد به سوء من الحقد والغل، فإنه محفوظ بحفظ الله وعنايته، وقوله: "ولا بغي" أي: لا ظلم فيه ولا ميل عن الحق، "لا غل" أي: لا حقد، "ولا حسد"، أي: ولا يتمنى زوال نعمة الغير.

وفي الحديث: الحث على سلامة الصدور والقلوب من الصفات الخبيثة؛ كالغل والحقد والحسد، وغير ذلك.

وفيه: أن الله سبحانه ينظر إلى القلوب والأعمال، فيجازي على ما يطلع عليه في قلب عبده من الإحسان أو غيره. [شرح الأحاديث من الموسوعة الحديثية في الدرر السنية]

*****

لا يجتمع الإيمان والحسد في قلب المؤمن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله، وفيح جهنم، ولا يجتمع في جوف عبد مؤمن الإيمان والحسد) [حسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢٨٨٦) وفي صحيح الموارد (١٣٢١) وفي صحيح النسائي (٣١٠٩)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان (٤٦٠٦)]

وفي الحديث: قال ﷺ: "ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد" والحسد هو أن يرى أحدهم النعمة على غيره، فيتمناها لنفسه ويتمنى زوالها عن صاحبها، أو يكرهها له، وهذا تقبيح للحسد، وبيان أنه لا ينبغي للمؤمن أن يحسد؛ فإنه ليس من شأنه ذلك؛ فمعنى "لا يجتمعان" هاهنا: أنه ليس من شأن المؤمن أن يجمع الحسد مع الإيمان، ويحتمل أن يكون المراد بالإيمان كماله، أي: لا يكتمل إيمان من كان عنده حسد لغيره.

وفي الحديث: بيان لعظيم أثر الإيمان على العبد، وما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من سلامة الصدر للناس.

وفيه: بيان فضل الجهاد في سبيل الله، وأنه منجاة من النار.

وفيه: بيان أن الحسد لا ينبغي أن يخالط قلب المؤمن الحق. [شرح الأحاديث من الموسوعة الحديثية في الدرر السنية]

*****

الرقية من الحسد والعين:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، فقال: (باسم الله يُبريك، ومن كل داء يَشْفِيك، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد، وشرِّ كل ذي عين) [رواه مسلم في صحيحه (٢١٨٥)]

وفي رواية: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى جبريلُ النبي ﷺ، فقال: (يا محمد، اشتكيتَ؟ فقال: «نعم»، قال: باسم الله أَرقيك من كل شيء يُؤذيك، من شر كل نفسٍ ـ أو عينٍ حاسدٍ ـ الله يشفيك، بسم الله أرقيك) [رواه مسلم في صحيحه (٢١٨٦)]

قال ابن العثيمين في شرحه للحديث: (ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ يسأله اشتكيت؟، يعني: هل أنت مريض؟ قال: نعم، فقال: (بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك) هذا دعاء من جبريل أشرف الرسل للنبي ﷺ أشرف الرسل لكن جبريل أشرف الرسل الملكيين وأما محمد ﷺ فأشرف الرسل البشريين يقول له: اشتكيت؟ قال: نعم. وفي هذا دليل على أنه لا بأس أن يقول المريض للناس إني مريض إذا سألوه وأن هذا ليس من باب الشكوى، الشكوى

أن تشتكي الخالق للمخلوق تقول: أنا أمرضني الله بكذا وكذا، تشكو الرب للخلق، هذا لا يجوز. ولهذا قال يعقوب: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، لكن إذا أخبر المريض بمرضه على سبيل الإخبار لا الشكوى فلا بأس ولهذا بعض العامة يقول إخبار لا شكوى وهذا طيب.

وفيه أيضا دليل على أنه ينبغي أن نقرأ على المريض بهذه الرقية بسم الله أرقيك يعني أقرأ عليك من كل شيء يؤذيك من مرض حزن هم أو غم ... إلخ من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك من شر كل نفس من النفوس البشرية أو نفوس الجن أو غير ذلك أو عين حاسد أي ما يسمونه الناس بالعين، وذلك أن الحاسد والعياذ بالله الذي يكره أن ينعم الله على عباده بنعمه، نفسه خبيثة شريرة، وهذه النفس الخبيثة الشريرة قد ينطلق منها ما يصيب المحسود، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ويكون المحسود مهموما بسبب هذه العين، ولهذا قال: أو عين حاسد الله يشفيك، أي: يبرئه ويزيل سقمه، بسم الله أرقيك. فبدأ بالبسملة في أول الدعاء وفي آخره، فإذا دعا الإنسان بما جاء في السنة فهذا خير، لأن كل ما جاء في السنة فإن مراعاته أفضل، وإذا لم يعرف هذا الدعاء فادع بالمناسب: شفاك الله، عافاك الله، أسأل الله لك الشفاء، أسال الله لك العافية، وما أشبه ذلك.

وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ كغيره من البشر يصيبه المرض، وفيه أيضا أن القراءة على المريض لا تنافي كمال التوكل بخلاف الذي يطلب من الناس أن يقرؤوا عليه ففيه شيء من نقص التوكل، لأنه سأل الخلق واعتمد على سؤالهم، لكن إذا جاء إنسان يقرأ عليه ولم يمنعه فإن ذلك لا شيء فيه ولا يعد نقصا في التوكل، ولهذا قرأ النبي ﷺ على غيره، وقرئ عليه أيضا، فذلك لا ينافي كمال التوكل إذا كان بغير سؤال. والله الموفق) [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: ٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧/٤]

*****

من معاملة المسلم لإخوانه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) [أخرجه مسلم - كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (٢٥٦٤)، (٣٢)]

(سأقتصر على قوله ﷺ: "لا تحاسدوا")

قال ابن العثيمين في شرح هذا الحديث: قوله: "لا تحاسدوا" أي لا يحسد بعضكم بعضا.

وما هو الحسد؟ قال بعض أهل العلم: الحسد تمني زوال نعمة الله عز وجل على الغير، أي أن يتمنى أن يزيل نعمته على الآخر، سواء كانت النعمة مالا أو جاها أو علما أو غير ذلك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الحسد: كراهة ما أنعم الله به على الغير وإن لم يتمن الزوال.

ومن المعلوم أن من لازم الكراهة أن يتمنى الزوال، لكن كلام الشيخ رحمه الله أدق، فمجرد ما تكره أن الله أنعم على هذا الرجل بنعمة فأنت حاسد.....

١- أنّ هذا الحديث العظيم ينبغي للإنسان أن يسير عليه في معاملته إخوانه، لأنه يتضمن توجيهات عالية من النبي ﷺ.

٢- تحريم الحسد لقوله "لا تحاسدوا".

وهل النهي عن وقوع الحسد من الجانبين، أو من جانب واحد؟

الجواب: من جانب واحد، يعني لو فرضنا إنسانا يريد أن يحسد أخاه وذاك قلبه سليم لا يحسد صار هذا حراما، فيكون التفاعل هنا في قوله "لا تحاسدوا" ليس من شرطه أن يكون من الجانبين، كما إذا قلت: لا تقاتلوا يكون القتال من الجانبين.

فإن قال قائل: ما يرد على القلب أحيانا من محبة كون الإنسان أعلى من أخيه، فهل يدخل في الحسد؟

فالجواب: لا، لأن الرجل لم يكره نعمة الله عز وجل على هذا العبد، لكن أحب أن يفوقه، وهذا شيء طبيعي، ولذلك لما ألقى النبي ﷺ على أصحابه السؤال: (أن من الشجر شجرة مثلها مثل المؤمن) [أخرجه البخاري - كتاب: العلم، طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، (٦٢) . ومسلم - كتاب: الجنة والنار، باب: مثل المؤمن مثل النخلة، (٢٨١١) ، (٦٤)]، كلهم لم يعرفوها، ذكروا أشياء من الشجر لكنها لم تكن إياه، وابن عمر رضي الله عنهما يقول: وقع في قلبي أنها النخلة، ولكني أصغر القوم فلم أتكلم، قال أبوه: وددت أنك قلت هذا ، لأنه إذا قالها تفوق على الحاضرين.

فإن وقع في قلبه حسد لشخص ولكنه يدافعه ولم يعتد على الشخص، فهل يؤاخذ به؟ الجواب: لا يؤاخذ، لكنه ليس في حال الكمال، لأن حال الكمال

أن لا تحسد أحدا، وأن ترى نعمة الله عز وجل على غيرك كنعمته عليك، لكن الإنسان بشر قد يقع في قلبه أن يكره ما أنعم الله به على هذا الشخص من علم أو مال أو جاه أو ما أشبه ذلك، لكنه لا يتحرك ولا يسعى لإضرار هذا المحسود، فنقول: هذا ليس عليه شيء، لأن هذا أمر قد يصعب التخلص منه، إلا أنه لو لم يكن متصفا به لكان أكمل وأطيب للقلب، وفي الحديث: (إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ) [أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - ج٣/ ص٢٨٨، (٣٢٢٧)،] .

فمن الناس من إذا حسد بغى فتجده مثلا يتكلم في الشخص المرموق عند الناس الذي يعتبر رمزا للإنفاق في سبيل الله وفي الصدقات، ثم يأخذ بمدحه ويقول: لكنه يتعامل بالربا، فإذا قال هذه الكلمة معناها أنه أهبط ميزانه عند الناس، وهذا حسد ببغي والعياذ بالله.

وكذلك مع العلماء، وأكثر ما يكون الحسد بين المتفقين في مهنة، كالحسد بين العلماء، والحسد بين التجار، والحسد بين أهل الصنائع، هذا الغالب، وإلا فمن المعلوم أنه لا يأتي نجار مثلا يحسد عالما.

والحسد على مراتب:

الأولى: أن يتمنى أن يفوق غيره، فهذا جائز، بل وليس بحسد.

الثانية: أن يكره نعمة الله عز وجل على غيره، ولكن لا يسعى في تنزيل مرتبة الذي أنعم الله -عز وجل- عليه ويدافع الحسد، فهذا لا يضره، ولكن غيره أكمل منه.

الثالثة: أن يقع في قلبه الحسد ويسعى في تنزيل مرتبة الذي حسده، فهذا هو الحسد المحرم الذي يؤاخذ عليه الإنسان.

الحسد من خصال اليهود، كما قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقال الله تعالى في ذمهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٥٤] والحسد يضر صاحبه لأن الحاسد لا يبقى مسرورا- والعياذ بالله- إذ أن نعم الله على العباد تترى ولا منتهى لها، وهذا الرجل كلما رأى نعمة من الله على غيره زاد غما وهما.

والحسد اعتراض على قدر الله عز وجل لأنه يريد أن يتغير المقدور، ولله الحكمة فيما قدره.

والحسد في الغالب تحدث فيه معاص: كالعدوان على الغير، والمخاصمة، ونشر

المعائب وغير ذلك، ولهذا يجب على المسلم أن يتجنبه كما نهى عنه النبي ﷺ. [شرح الأربعين النووية للعثيمين – الحديث الخامس والثلاثون: بداية من ص ٣٣٩]

*****

من أقوال الصحابة -رضي الله عنهم- في الحسد:

قال أبو بكر الصدّيق ﵁: (من الملوك مَن إذا ملك زهّده الله فيما في يديه ورغّبه فيما بيد غيره، وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده، فهو يحسد على القليل، ويتسخّط على الكثير) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٥٥]

*****

قال عمر بن الخطاب ﵁: (ما كانت على أحد نِعمةٌ إلا كان لها حاسد، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزا) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٩١]

*****

قال عمر بن الخطاب ﵁: (لا يكون الرجل عالما حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يأخذ على عمله أجرا) [الأمثال والحكم – للماوردي: ٨٤٦]

*****

قال عثمان بن عفان ﷺ: (يكفيك من الحاسد أنّه يغتمّ وقت سرورك) [مجمع الأمثال – لأبي الفضل الميداني: ٢/٤٥٣]

*****

قال علي بن أبي طالب ﷺ: (إن الجزع والجهل والشره والحسد لفروع أصلها واحد) [الصبر والثواب عليه – لابن أبي الدنيا: ١٠٩]

*****

قال علي بن أبي طالب ﷺ: (الرّغبة مفتاح النَّصَب، والحسد مطيَّة التعب) [مجمع الأمثال – لأبي الفضل الميداني: ٢/٤٥٤]

*****

قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ: (كل الناس أستطيع أن أرضيه، إلاّ حاسد نِعمة؛ فإنّه لا يرضيه إلاّ زوالها) [المجالسة وجواهر العلم – للدينوري: ٣/٥٠]

*****

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: (ليس في خلال الشرّ أشرّ من الحسد، لأنه قد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٩٥]

*****

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لا تعادوا نِعم الله عز وجل. قيل: ومَن يُعادي نِعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٩١]

*****

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اعلموا أنّ مَن حسد عبدا على ما أُعطيَ، فقد أغضب الذي أعطاه، وهو الله عز وجل) [التوبيخ والتنبيه – لأبي الشيخ الأصبهاني: ٣٨]

*****

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أنّه مرّ على ديار خربة خاوية، فقال: هذه أهلكها وأهلك أهلها البغي والحسد، إنّ الحسد ليطفئ نور الحسنات، والبغي يُصدّق ذلك أو يُكذبه) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٩١]

*****

قال أبو الدرداء ﵁: (من أكثر ذِكر الموت قلّ حسده وبغيه) [كتاب الزهد – لأحمد بن حنبل: ص ١١٧، رواية رقم: ٧٦٨]

وفي رواية: (ما أكثر عبد ذِكر الموت؛ إلاّ قلّ فرحه وقلّ حسده) [الزواجر عن اقتراف الكبائر – لابن حجر الهيتمي: ٩٣/ ١]

*****

قال أبو الدرداء ﵁: (معاتبة الأخ خير من فقده، ومَن لك بأخيك كله؟، اعط أخاك ولِن له ولا تُطع به حاسدا فتكون مثله) [صفة الصفوة: ٢٤٢/ ١]

*****

من أقوال التابعين – رحمهم الله – في الحسد:

* قال جنادة بن أبي أمية رحمه الله: (أول خطيئة كانت الحسد، حسد إبليس آدم أن يسجد له، فحمله الحسد على المعصية) [التوبيخ والتنبيه – لأبي الشيخ الأصبهاني: ٤٢]

* قال الأحنف بن قيس رحمه الله: (ليس لكذوب مروءة ولا لبخيل حياء، ولا لحاسد راحة، ولا لسيئ الخلق سؤدد، ولا لملوك وفاء) [كتاب شعب الإيمان - للبيهقي - ط الرشد: ٦/٥١٤، رواية رقم: ٤٥٥٢]

* قال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: (ذنبك إلى الحاسد؛ دوام نِعم الله –عز وجل– عليك) [المجالسة وجواهر العلم – للدينوري: ٣/٤٩]

* قال زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله: (إنّ الحسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير في جسد يأشر) وقال أيضا: (مَن قنع بما قسم الله له، فهو مِن أغنى الناس) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – لأبي نعيم الأصبهاني – ط السعادة: ٣/١٣٤-١٣٥]

* قال وهب بن منبه رحمه الله: (أخبر الحاسد أنّه لم يرض بقضاء الله عز وجل) [التوبيخ والتنبيه – لأبي الشيخ الأصبهاني: ٣٨]

* قال وهب بن منبه رحمه الله: (أنّ للحاسد ثلاث علامات: يتملّق إذا شهد،

ويغتاب إذا غاب، ويشمت بالمصيبة) [التوبيخ والتنبيه – لأبي الشيخ الأصبهاني: ٤٤]

* قال رجاء بن حيوة رحمه الله: (ما أكثر رجل ذِكر الموت إلا ترك الفرح والحسد)

[كتاب الزهد – لأحمد بن حنبل: ص ٣١٦، رواية رقم: ٢٣٠٩]

* قال الحسن البصري رحمه الله: (أصول الشر ثلاثة: الحرص والحسد والكِبر. فالكِبر منع إبليس من السجود لآدم، والحرص أخرج آدم من الجنّة، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ٤٢٩]

* قال الحسن البصري رحمه الله: (إنّ الحسد في دين المسلم أسرع من الآكلة في جسده) [آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه – لابن الجوزي: ٤٢]

* قال الحسن البصري رحمه الله: (اثنان لا يصطحبان أبدًا: القناعة والحسد، واثنان لا يفترقان أبدًا: الحرص والحسد) [آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه – لابن الجوزي: ٥٢]

* قال الحسن البصري رحمه الله: (ليس أحدٌ من خلق الله إلاّ وقد جعل معه الحسد، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء) [الاستذكار – لابن عبد البر: ٨/٢٩٠، بهجة المجالس وأنس المُجالس – لابن عبد البر: ١٩١]

* قيل للحسن البصري رحمه الله: (يا أبا سعيد: أيحسد المؤمن؟ قال: لا أم لك! أنسيت إخوة يوسف؟) [بهجة المجالس وأنس المُجالس – لابن عبد البر: ١٩١]

* قال ابن سيرين رحمه الله: (ما حسدت أحدا على شيء من الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٣٤]

* قال الخليل بن أحمد رحمه الله: (ما رأيت ظالما أشبه من مظلوم بحاسد، نفس دائم وعقل هائم وحزن لازم) [شعب الإيمان – للبيهقي – ط العلمية: ٥/ ٢٧٣]

* قال مالك بن أنس رحمه الله: (ما بقي من الناس إلا رجلين، شامت نقمة، أو حاسد على نعمة) [التوبيخ والتنبيه – لأبي الشيخ الأصبهاني: ٨٥]

* قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (المؤمن يغبط ولا يحسد، الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق) [سير أعلام النبلاء – للذهبي – ط مؤسسة الرسالة: ٨/ ٤٣٧]

* قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (ما مِن أحد أحب الرئاسة إلاّ حسد وبغى وتتبّع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير) [جامع بيان العلم وفضله – لابن عبد البر: ١/ ٥٦٩]

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (إيّاكم والحسد؛ فإنه ليس له دواء) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – لأبي نعيم الأصبهاني: ٨/ ٩٩]

* قال سفيان بن عيينة رحمه الله: (الغل هو الحسد، فما خرج منه فهو الشر، وما بقي منه فهو الغل، وليس يسلم أحد أن يكون فيه شيء من الحسد) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – لأبي نعيم الأصبهاني: ٧/ ٢٨٤]

* قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: (الأماني تورِثُ أهلها الحسد والبغي بغير الحق) [تفسير الطبري: ٦/ ٦٦٣]

* قال محمد بن حبان رحمه الله: (من شيّم الأحمق: العجلة، والخفّة، والعجز، والفجور، والجهل، والمقت، والوهن، والمهانة، والتعرّض، والتحاسد، والظلم، والخيانة، والغفلة، والسهو، والغي، والفحش، والفخر، والخيلاء، والعدوان، والبغضاء) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٠٨]

* قال محمد بن حبان رحمه الله: (الحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أفعال الكرام، ولكل حريق مطفيء، ونار الحسد لا تطفأ) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٢١]

* قال محمد بن حبان رحمه الله: (من الحسد يتولّد الحقد، والحقد أصل الشرّ، ومَّن أضمر الشر في قلبه؛ أنبت له نباتا مُرًّا مذاقه، نماؤه الغيظ، وثمرته النّدم) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٢١]

* قال محمد بن حبان رحمه الله: (أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٣٣]

* قال محمد بن حبان رحمه الله: (الحاسد لا تهدأ روحه، ولا يسكن قلبه، ولا يستريح بدنه؛ إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٣٣]

* قال محمد بن حبان رحمه الله: (لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد منه لأنه ما دام مشرفا على ما خصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ونماء للحسد فيه) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٣٥]

* قال محمد بن حبان رحمه الله: (بئس الشعار للمرء الحسد لأنه يورث الكمد ويورث الحزن وهو داء لا شفاء له) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٣٧]

* قال محمد بن حبان رحمه الله: (ويسهل على المرء ترضي كل ساخط في الدنيا حتى يرضى إلا الحسود فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لمحمد بن حبان البستي: ١٣٧]

* قال الماوردي رحمه الله: (الإنسان مقصود بالأذية، محسود بالنعمة. فإذا لم يكن آلفا مألوفا تخطفته أيدي حاسديه، وتحكمت فيه أهواء أعاديه، فلم تسلم له نعمة، ولم تصف له مدة. فإذا كان آلفا مألوفا انتصر بالألفة على أعاديه، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم، وصفت مدته عنهم) [كتاب أدب الدنيا والدين – للماوردي: ١٤٦]

* قال الماوردي رحمه الله: (عُجبُ المرء بنفسه أحد حسّاد عقله) [أدب الدنيا والدين – للماوردي: ٢٣٧]

* قال الماوردي رحمه الله: (حقيقة الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل وهو غير المنافسة، وربما غلط قوم فظنوا أن المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما ظنوا؛ لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم. والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم، من غير أن يصير الفضل له، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد. فالمنافسة إذا فضيلة؛ لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخيار الأفاضل) [كتاب أدب الدنيا والدين – للماوردي: ٢٧٠]

* قال الماوردي رحمه الله: (الحسد يُنشئ الكمد) [الأمثال والحكم – للماوردي: ٣٠٨]

* قال ابن عبد البر رحمه الله: (أقبح الأشياء: بالسلطان اللجاج، وبالحكماء الضجر، وبالفقهاء سخافة الدّين، وبالعلماء إفراط الحرص، وبالمقاتلة الجبن، وبالأغنياء البخل، وبالفقراء الكِبر، وبالشباب الكسل، وبالشيوخ المزاح، وبجماعة النّاس التباغض والحسد) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٩٢]

* قال ابن عبد البر رحمه الله: (كاد الحسد يغلب القدر) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٩٢]

* قال ابن عبد البر رحمه الله: (إنّ الحسد خُلق دنيء، ومن دناءته أنّه موكل بالأدنى فالأدنى) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٩٣]

* قال ابن عبد البر رحمه الله: (كان يُقال: إنّ الحاسد إذا رأى نِعمة بهت، وإذا رأى عثرة شمت) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ١٩٥]

* قال ابن عبد البر رحمه الله: (جانب مودة الحسود، وإن زعم أنه ودود) [بهجة المجالس وأنس المُجالس – لابن عبد البر: ٢١٥]

* قال ابن عبد البر رحمه الله: (الحسود مغتاظ على من لا ذنب له عنده) [بهجة المجالس وأنس المُجالس – لابن عبد البر: ٢١٦]

* قال ابن عبد البر رحمه الله: (ليس لثلاثٍ حيلة: فقر يُخالطه كسل، وخصومة يُداخلها حسد، ومرض يُداخله هرم) [بهجة المجالس – لابن عبد البر: ٤٢٩]

* قال ابن عبد البر رحمه الله: (يُقال: أنّ الحسد لا يكاد يسلم منه أحد، فمن لم يحمله حسده على البغي لم يضرّه حسده) [الاستذكار – لابن عبد البر: ٨/٢٩٠]

* قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله: (والناس إذا لم يجدوا عيبًا لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له؛ أحدثوا له عيوبًا) [العواصم من القواصم – لابن العربي – ط الأوقاف السعودية: ٢٤٤]

* قال أبو الخير رحمه الله: (القلوب ظروف، فقلب مملوء إيمانا، فعلامته الشفقة على جميع المسلمين، والاهتمام بما يهمّهم، ومعاونتهم على أن يعود صلاحه إليهم، وقلب مملوء نفاقا، فعلامته الحقد والغل والغش والحسد) [تاريخ دمشق – لابن عساكر: ٦٦/١٦١]

* قال ابن الجوزي رحمه الله: (تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإنّ علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون) [صيد الخاطر – لابن الجوزي: ٣٠]

* قال ابن تيمية رحمه الله: (النفس فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له، والتعدّي عليه في حقه) [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – لابن تيمية: ٢٩]

* قال ابن تيمية رحمه الله: (فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده إيّاه) [مجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/١٩١]

* قال ابن تيمية رحمه الله: ("الحسد" مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه) [مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٠/١٢٤]

* قال ابن تيمية رحمه الله: (القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما يُنجّسه من الكِبر والحسد) [مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/٢٤٢]

* قال ابن القيم رحمه الله: (القلب السليم هو الذي سلم من الشّرك، والغِّل والحقد، والحسد، والشّح، والكِبر، وحب الدنيا والرياسة) [الداء والدواء – لابن القيم: ٢٨٢]

* قال ابن القيم رحمه الله: (أركان الكفر أربعة: الكِبر والحسد والغضب والشهوة، فالكِبر يمنعه الانقياد، والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنعه العدل، والشهوة تمنعه التفرّغ للعبادة) [كتاب الفوائد – لابن القيم – ط العلمية: ١٥٧]

* قال ابن القيم رحمه الله: (وأصل الحسد هو بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها) [بدائع الفوائد – لابن القيم – ط الكتاب العربي: ٢/٢٣٣]

* قال ابن القيم رحمه الله: ("على العبد" الصدقة والإحسان ما أمكنه؛ فإنّ لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء، ودفع العين وشرّ الحاسد) [بدائع الفوائد – لابن القيم – ط الكتاب العربي: ٢/٢٤٢]

* قال ابن القيم رحمه الله: (أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتّباع الهوى، فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه، فاستراح وأراح) [روضة المحبين ونزهة المشتاقين - لابن القيم- ط العلمية: ٤٨٢]

* قال ابن القيم رحمه الله: (الرغبة في الدنيا أصل المعاصي الظاهرة، فهي أصل معاصي القلب من التسخط والحسد والكِبر والفخر والخيلاء والتكاثر) [عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – ط دار ابن كثير: ٢٥٦]

* قال ابن القيم رحمه الله: (أربعة تجلب البغضاء والمقت: الكِبر، والحسد، والكذب، والنميمة) [زاد المعاد – لابن القيم – ط الرسالة: ٤/ ٣٧٨]

* قال ابن القيم رحمه الله: (ولا بد لكل نِعمة من حاسد، ولكل حق من جاحد ومعاند) [مفتاح دار السعادة – لابن القيم: ١/ ٤٧]

* قال ابن عقيل رحمه الله: (افتقدت الأخلاق فإذا أشدّها وبالا على صاحبها الحسد؛ فإنّه التأذي بما يتجدد من نعمة الله، فكلما تلذذ المحسود بنعم الله – تعالى- تأذى الحاسد وتنغّص) [الآداب الشرعية – لابن مفلح: ١/ ١٠٣]

* من كلام الحكماء: (الرزق مقسوم، والحريص محروم، والحسود مغموم، والبخيل مذموم) [كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية – لابن مفلح: ٣/ ٣٠٧]

* قال الأمير الصنعاني رحمه الله: (ووجه تحريم الحسد مع ما علم من الأحاديث أنّه تسخط لقدر الله تعالى وحكمته في تفضيل بعض عباده على بعض؛ ولذا قيل:

ألا قل لمن كان لي حاسدًا ..... أتدري على مَن أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله ..... لأنّك لم ترض لي ما وهب) [سبل السلام – للأمير الصنعاني: ٢/٦٥٥]

* قال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (واجتنبوا البغي والعدوان، والحقد والحسد، واعلموا أنّ الحسود لا يسود، ولا يناله من حسده إلا الهم والغم والكد والنكد، فمن يَرُدّ نعمة الله التي أنعم بها على عباده؟ أم مَن يمنع عطاء الله الذي يقسمه على مراده؟) [الخطب المنبرية: ٤٦-٤٧/١٢]

* قال محمد شرف الحق العظيم آبادي رحمه الله: (الحسد يفضي بصاحبه إلى اغتياب المحسود ونحوه فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود فيزيد المحسود نعمة على نعمة والحاسد حسرة على حسرة) [عون المعبود شرح سنن أبي داود – للعظيم آبادي – الطبعة الثانية دار الكتب العلمية: ١٦٨/١٣]

* قال عبد العزيز السلمان رحمه الله: (عباد الله إن داء الحسد من أعظم الأدواء، والابتلاء به من أشد البلوى، يحمل صاحبه على مركب صعب ويبعده عن التقوى، ويركبه الأهواء فيضل ويغوى، يضيق صدر الحسود وينفطر قلبه إذا

رأى نعمة الله على أخيه المسلم فيعاني من البؤس واللأوى، ما لا يستطيع أن يبث معه ما يجده من الحزن والقلق، ولا يقدر على الشكوى، إلا إلى الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء أو من هو مثله في الحسد، فقاتل الله الحسود لا يفعل الخير ولا يحبه لإخوانه المسلمين، غاية أمنيته زوال نعمة الله عن عباده، إنه بعمله سالك طريق إبليس لعنه الله، فما أوقع الشيطان في معصية الله إلا حسده لأبينا آدم وامتناعه من السجود بعد ما أمره الله، وما حمل قابيل على قتل هابيل إلا حسده لأخيه حيث تقبل الله منه قربانه الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة، وما منع المشركين والمترفين من إتّباع الرسل إلا الحسد والكبر، وما حمل أهل الكتاب على كراهة الدين الإسلامي وصرف المسلمين عن كتاب الله والإيمان بسيد الرسل وخاتمهم إلا ما ذكره الله عنهم ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] . الآية، الحاسد لا يضمر إلا غدرا ولا يعمل إلا شرا ولا يدبر إلا مكرا) [مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار – لعبد العزيز السلمان: ٢٣٥-٢٣٦/ ١]

* قال ابن العثيمين رحمه الله : (طهّر قلبك من هذا الحسد، واعلم أنّ هذا الخير الذي فيه غيرك إنّما هو فضل من الله، فلا تعترض على فضل الله ولا تكره تقدير الله)

[مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ٢٣٨/ ٥]

* قال ابن العثيمين رحمه الله: (الحسد فيه اعتراض على قضاء الله وقدره، لأن الحاسد لم يرض بقضاء الله وقدره، يعني: لم يرض أن الله أعطى هذا الرجل مالا أو أعطاه أهلا أو أعطاه علما) [شرح رياض الصالحين – لابن العثيمين: ٢٤٨-٢٤٩/ ٦]

* قال ابن العثيمين رحمه الله: (الحسد جمرة في القلب –والعياذ بالله– كلما أنعم الله على عبده نعمة احترق هذا القلب –والعياذ بالله– حيث أنعم الله تعالى على عباده، فتجده دائما في نكد ودائما في قلق) [شرح رياض الصالحين – لابن العثيمين: ٢٤٩/ ٦]

* قال ابن العثيمين رحمه الله: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الحسد: كراهة ما أنعم الله به على الغير وإن لم يتمن الزوال". ومن المعلوم أن من لازم الكراهة أن يتمنى الزوال، لكن كلام الشيخ–رحمه الله – أدق، فمجرد ما تكره أن الله أنعم على هذا الرجل بنعمة فأنت حاسد) [شرح الأربعين النووية – للعثيمين – الحديث الخامس والثلاثون: ٣٣٩]

* قال ابن العثيمين رحمه الله: (والحسد محرم؛ لأن النبي ﷺ نهى عنه وحذر منه، وهو من خصال اليهود الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) [مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ٥١٣/ ٢٦]

* قال ابن العثيمين رحمه الله: (الحاسد يبقى دائما في قلق وحرقة ونكد؛ لأن نعم الله على العباد لا تحصى، فإذا كان كلما رأى نعمة على غيره حسده وكره أن تكون

هذه النعمة حالة عليه فلا بد أن يكون في قلق دائم وهذا هو شأن الحاسد -والعياذ بالله-) [مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ٥١٣-٢٦/٥١٤]

* قال ابن العثيمين ﵀: (الغالب أن الحاسد يبغي على المحسود فيحاول أن يكتم نعمة الله على المحسود، أو يزيل نعمة الله على هذا المحسود، فيجمع بين الحسد وبين العدوان) [مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ٢٦/٥١٤]

* قال ابن العثيمين ﵀: (الحسد يدل على دناءة الحاسد، وأنه شخص لا يحب الخير للغير؛ بل هو سافل ينظر إلى الدنيا، ولو نظر إلى الآخرة لأعرض عن هذا) [مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ٢٦/٥١٤]

*****

* سُئِل ابن العثيمين ﵀: بعض الناس يتكلم في الآخرين ويحسدهم على ما آتاهم الله من فضله فما توجيهكم لهؤلاء؟

فأجاب ﵀: توجيهنا لهؤلاء أن يتقوا الله -عز وجل- وأن يحذروا الحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والحسد لا يفيد الحاسد إلا هما وغما لأنه كلما تجددت نعمة الله على المحسود اشتعلت نار الحسد في قلبه واستحسر وعجز عن أن يحاول أن يكون مثل هذا المحسود ثم إن الحسد

اعتراض على قضاء الله وقدره لأنه كره ما أنعم الله به على غيره ثم إن الحسد عدوان على المحسودين لأن الغالب أن الحاسد يسعى لكتم النعمة عن المحسود وإخفائها وغيبة المحسود والنيل من عرضه ثم إن الحسد من أخلاق اليهود، قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢] وقال النبي ﷺ: (لا تحاسدوا) [أخرجه البخاري (٦٠٦٤) مختصراً، ومسلم (٢٥٦٤)] أي: لا يحسد بعضكم بعضا فالحسد خلق ذميم رذيل لا يحصل إلا من ضعف نفس وسوء ظن بالله -عز وجل- وحقد على المسلمين. [كتاب فتاوى نور على الدرب للعثيمين: ص ٢ ج ٢٤]

*****

* سُئِلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء: الحسد في الإسلام موجود أم غير موجود؟ وإذا كان يوجد حسد بين الناس فكيف تتعامل معهم؟

الجواب: الحسد تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من شر الحاسد إذا حسد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

ومعنى إذا حسد: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل. بمقتضاه، وحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود.

والحسد على درجات:

الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم، وإن كانت لا تنتقل إليه، بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به.

الثانية: أن يحب زوال النعمة عن غيره لرغبته فيها؟ رجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة، من غير أن يحب زوالها عن غيره، وهذه الدرجة جائزة وليست من الحسد في شيء، بل هي غبطة.

والحاسد يضر نفسه من ثلاثة وجوه:

أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام.

الثاني: سوء الأدب مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده، واعتراض على الله في فعله.

الثالث: تألم قلبه من كثرة همه وغمه.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

[كتاب فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى: ص ٢٩ ج ٢٦]

*****

محاذير يقع بها الحاسد:

قال ابن العثيمين رحمه الله: الحاسد يقع في محاذير:

أولا: كراهيته ما قدره الله، فإن كراهته ما أنعم الله به على هذا الشخص كراهة لما قدره كونا ومعارضة لقضاء الله عز وجل.

ثانيا: أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب؛ لأن الغالب أن الحاسد يعتدي على المحسود بذكر ما يكره وتنفير الناس عنه، والحط من قدره وما أشبه ذلك.

ثالثا: ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم والنار التي تأكله أكلا، فكلما رأى نعمة من الله على هذا المحسود اغتم وضاق صدره؛ وصار يراقب

هذا الشخص كلما أنعم الله عليه بنعمة حزن واغتم وضاقت عليه الدنيا.

رابعا: أن في الحسد تشبها باليهود، معلوم أن من أتى خصلة من خصال الكفار صار منهم في هذه الخصلة، لقول النبي ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم) [صحيح: رواه أبو داود ٤٠٣١. وأحمد ٢/ ٥٠،٩٢. وصححه الألباني في الإرواء ١٢٦٩]

خامسا: أنه مهما كان حسده ومهما قوي لا يمكن أبدا أن يرفع نعمة الله عن الغير، إذا كان هذا غير ممكن فكيف يقع في قلبه الحسد؟.

سادسا: أن الحسد ينافي كمال الإيمان لقول النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [متفق عليه: رواه البخاري ١٣. ومسلم ٤٥]

ولازم هذا أن تكره أن تزول نعمة الله على أخيك، فإذا لم تكن تكره أن تزول نعمة الله عليك فأنت لم تحب لأخيك ما تحب لنفسك وهذا ينافي كمال الإيمان.

سابعا: أن الحسد يوجب إعراض العبد عن سؤال الله تعالى من فضله، فتجده دائما مهتما بهذه النعمة التي أنعم الله بها على غيره ولا يسأل الله من فضله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

ثامنا: أن الحسد يوجب ازدراء نعمة الله عليه، أي أن الحاسد يرى أنه ليس في نعمة، وأن هذا المحسود في نعمة أكبر منه، وحينئذ يحتقر نعمة الله عليه فلا يقوم بشكرها بل يتقاعس.

تاسعا: الحسد خلق ذميم؛ لأن الحاسد يتتبع نعم الله على الخلق في مجتمعه، ويحاول بقدر ما يمكنه أن يحول بين الناس وبين هذا المحسود بالحط من قدره أحيانا، وبازدراء ما يقوم به من الخير أحيانا إلى غير ذلك.

عاشرا: إن الحاسد إذا حسد فالغالب أن يعتدي على المحسود وحينئذ يأخذ المحسود من حسناته يوم القيامة فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن بقي من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئاته فطرح عليه ثم طرح في النار) [كتاب العلم للعثيمين: ٥٤-٥٥-٥٦]

*****

دفع شر الحاسد إذا حسد:

قال ابن القيم رحمه الله: فهذه السورة (سورة الفلق) من أكبر أدوية المحسود؛ فإنها تتضمن التوكل على الله، والالتجاء إليه، والاستعاذة به من شر حاسد النعمة، فهو مستعيذ بولي النعم ومُوليها، كأنه يقول: يا من أولاني نعمته وأسداها إلي أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني، وهو حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه؛ تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه؛ آمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] فلا تستبطئ نصره ورزقه وعافيته؛ فإن الله تعالى بالغ أمره، وقد جعل الله لكل شيء قدرا لا يتقدم عنه ولا يتأخر) [بدائع الفوائد – لابن القيم – ط الكتاب العربي: ٢٣٧-٢٣٨/ ٢]

وقال ابن القيم رحمه الله: ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:

أحدها: التعوذ بالله –تعالى– من شره واللجوء والتحصن به واللجوء إليه وهو المقصود بهذه السورة (سورة الفلق) والله –تعالى– سميع لاستعاذته عليم بما

يستعيذ منه، والسمع هنا المراد به سمع الإجابة لا السمع العام، فهو مثل قوله: "سمع الله لمن حمده" وقول الخليل ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ومرة يقرنه بالعلم ومرة بالبصر لاقتضاء حال المستعيذ ذلك؛ فإنه يستعيذ به من عدو يعلم أن الله -تعالى- يراه ويعلم كيده وشره، فأخبر الله -تعالى- هذا المستعيذ أنه سميع لاستعاذته، أي: مجيب عليم بكيد عدوه، يراه ويبصره، لينبسط أمل المستعيذ، ويقبل بقلبه على الدعاء، وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف والسجدة، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالإبصار بلفظ السميع البصير في سورة حم المؤمن، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهَّ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر، وأما نزع الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر ويدرك بالرؤية، والله أعلم.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه؛ فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يكله إلى غيره،

قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠] وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس: **(احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك)** [صححه الألباني في: صحيح الترمذي (٢٥١٦) وهداية الرواة (٥٢٣٢) وشرح الطحاوية (٢٦٦)، وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند لشاكر (٢٧٠/ ٤)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند لشعيب (٢٧٦٣)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٦٨٥)] **فمن حفظ الله حفظه** الله ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف ولمن يحذر.

السبب الثالث: الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيره وبغيه؛ فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندا وقوة للمبغي عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه ولو رأي المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله، وقد قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠] فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولا فكيف بمن لم يستوف شيئا من حقه؟ بل بغى عليه وهو صابر، وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم، وقد سبقت سنة الله أنه لو بغى جبل على جبل جعل الباغي منهما دكا.

السبب الرابع: التوكل على الله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك؛ فإن الله حسبه أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه، قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن؛ لجعل له مخرجا من ذلك وكفاه ونصره. وقد ذكرنا حقيقة التوكل وفوائده وعظم منفعته وشدة حاجة العبد إليه في "كتاب الفتح القدسي" وذكرنا هناك فساد من جعله من المقامات المعلولة أنه من مقامات العوام، وأبطلنا قوله من وجوه كثيرة وبينا أنه من أجل مقامات العارفين، وأنه كلما علا مقام العبد كانت حاجاته إلى التوكل أعظم وأشد، وأنه على قدر إيمان العبد

يكون توكله، وإنما المقصود هنا ذكر الأسباب التي يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر والباغي.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره؛ فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل انعزل عنه لم يقدر عليه فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر، وهكذا الأرواح سواء فإذا علق روحه وشبثها به وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومناما لا يفتر عنه وهو يتمنى أن يتماسك الروحان ويتشبثا فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى عدم القرار ودام الشر حتى يهلك أحدهما، فإذا جبذ روحه عنه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به وأن لا يخطره بباله فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضا؛ فإن الحسد كالنار إذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضا، وهذا باب عظيم النفع لا يلقاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العالية، وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه وتعلق روحه به ولا يرى شيئا ألم لروحه من ذلك

ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوارعة اللينة التي رضيت بوكالة الله لها وعلمت أن نصره له خير من انتصارها هي لنفسها، فوثقت بالله وسكنت إليه واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حق ووعده صدق وأنه لا أوفى بعهده من الله ولا أصدق منه قيلا، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها، أو نصر مخلوق مثلها لها ولا يقوى على هذا إلا بالسبب السادس.

السبب السادس: وهو الإقبال على الله والإخلاص له وجعل محبته وترضيه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيها تدب فيها دبيب الخواطر شيئا فشيئا حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب والتقرب إليه وتملقه وترضيه واستعطافه وذكره كما يذكر المحب التام المحبة لمحبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه فلا يجعل بيت إنكاره وقلبه معمورا بالفكر في حاسده والباغي عليه والطريق إلى الانتقام منه والتدبير عليه هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله وإجلاله وطلب مرضاته بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه إياك وحمى الملك اذهب إلى بيوت الخانات التي كل من جاء حل فيها ونزل بها ما لك ولبيت السلطان الذي أقام عليه اليزك وأدار عليه

الحرس وأحاطه بالسور قال -تعالى- حكاية عن عدوه إبليس أنه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠] وقال في حق الصديق: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن وصار داخل اليزك لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به ولا ضيعة على من آوى إليه ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه و ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره وفي الدعاء المشهور (اللهم إني

أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لم لا أعلم) [صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٣١)] فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه فقال: له قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك فدخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأناب إلى ربه ثم خرج إليه فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به علي. وسنذكر إن شاء الله -تعالى- أنه ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها فإذا عوفي من الذنوب عوفي من موجباتها فليس للعبد إذا بغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه فيشغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد فما أسعده من عبد وما أبركها من نازلة نزلت به وما أحسن أثرها عليه ولكن التوفيق والرشد بيد الله لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع فما كل أحد يوفق لهذا لا معرفة به ولا إرادة له ولا قدرة عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديما

وحديثا لكفى به فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له فيه العاقبة الحميدة فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من الله جنة واقية وحصن حصين وبالجملة فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها ومن أقوى الأسباب حسد الحاسد والعائن فإنه لا يفتر ولا يني ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه وتنطفئ ناره لا أطفأها الله فما حرس العبد نعمة الله -تعالى- عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله وهو كفران النعمة وهو باب إلى كفران المنعم فالمحسن المتصدق يستخدم جندا وعسكرا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر والله المستعان.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا ازددت إليه إحسانا وله نصيحة وعليه شفقة وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلا عن أن تتعاطاه فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [فصلت: ٣٤-٣٥-٣٦] وقال: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤] وتأمل حال النبي ﷺ الذي حكى عنه نبينا ﷺ: (أنه ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) [أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٧٧)، ومسلم في صحيحه (١٧٩٢)] كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفاره لهم. والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون. والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: اغفر لقومي كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا ولدي هذا غلامي هذا صاحبي فهبه لي. واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ويطيبه إليها وينعمها به، اعلم أن لك ذنوبا بينك وبين الله تخاف عواقبها وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك ويكرمك ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة فإن الجزاء من جنس العمل فكما تعمل مع

الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاء وفاقا فانتقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك فكما تدين تدان وكما تفعل مع عباده يفعل معك فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى ما أساء إليه هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة كما "قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال: (لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك) [أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٥٨)] هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فإنه كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء وذلك أمر فطري فطر الله عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكرا لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه إقطاعا ولا خبرا هذا مع أنه لا بد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى من أحب الناس إليه وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة والله هو الموفق المعين بيده الخير كله لا إله غيره وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد

ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة سنذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم والعلم بأن هذه آلات بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه فهو الذي يحسن عبده بها وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك) [صححه الألباني في: صحيح الترمذي (٢٥١٦) وهداية الرواة (٥٢٣٢) وشرح الطحاوية (٢٦٦)، وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند لشاكر (٢٧٠/ ٤)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند لشعيب (٢٧٦٣)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٦٨٥)] فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله -تعالى- بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه وتجرد الله محبة وخشية وإنابة وتوكلا واشتغالا به عن غيره فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده وإلا فلو جرد توحيده

لكان له فيه شغل شاغل والله يتولى حفظه والدفع عنه فإن الله يدافع عن الذين آمنوا فإن كان مؤمنا فالله يدافع عنه ولا بد وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع وإن مزج مزج له وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة كما قال بعض السلف: من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة. فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء.

فهذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به وأن لا يخاف معه غيره بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجوا سواه بل يرجوه وحده فلا يعلق قلبه بغيره ولا يستغيث بسواه ولا يرجو إلا إياه. [بدائع الفوائد – لابن القيم – ط الكتاب العربي: ٢٣٨-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥/٢]

ختاما:

أحب أن أنوه لكل قارئ: أنني لست مؤلفا للكتب إنما أجمع أقوال أهل العلم وأصفها للفائدة حسب الموضوع.

أسأل الله أن يجعل عملي صالحا وخالصا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ولمن له حق علي وللمسلمين.

وأسأله تعالى أن يبعد عنا وعن المسلمين كل أذى وسوء.

الفقير إلى عفو الله ومغفرته:

علي طه العلي الكعبي

تم تحرير هذا الكتاب في : ٢١ من ربيع ثاني لعام ١٤٤٧ هـ